الإشاريَّات الزَّمانيّة والإشاريَّات المكانيّة في كتاب الخطب والمواعظ لأبي عبيد القاسم بن سلّام (ت 224 هـ)

م.م غفران كاظم حريجة	كليَّة الإدارة و الاقتصاد، جامعة المثنى قسم اللغة العربيَّة
أ. د عايد جدّوع حنّون	كلّية التّربية للعلوم الإنسانيَّة، جامعة المثنى

ghofran.mohammed@mu.e dr.ayaadh@yahoo.com

الملخص:

يعــد كتاب الخطب والمواعظ لأبي عبيد القاســم بن ســلَّام من أهمّ الكتب التَّراثيَّة الرَّافدة بالاســتدعاء الدِّينيّ والمعقــودة بالنُّصح، و الوعظ، و الحضّ عــلى أعمال البرّ؛ لما لهذه الخطب والمواعظ من أثر في المتلقِّي العربيّ فتمثّل هذه الخطابات بعدًا تداوليًّا خاصًّا في إطار تفاعليّ تواصليّ مبتغاه القصد؛ فالخطاب الواحد مرهون بأســس تفكيريَّة تداوليَّة و هي: (طرفا الخطاب، والقصديَّة، والسّــياق) فنجد كتاب الخطب والمواعظ جاء حافلًا بأسس تفكيريَّة متعدّدة متنوّعة، ارتبط تعدّدها بتعدّد طرفيّ الخطاب، واختلاف مســتوياتهم، و جاء تنوّعها باختلاف السِّياقات التي قيلت فيها من حيث الزّمان، و المكان.

فالزَّمان، و المكان هما علامتان لغويَّتان مهمَّتان من علامات تشكيل الخطاب، فالمعطى الزّمنيّ لا يتعيَّن إلّا في سياق التَّخاطب، و لحظة التَّلفظ به، و الفضاء

المــكاني هو مرجعيَّة تحديد المواقــع، و الأماكن التي تحيل إليها الإشــاريَّات المكانيَّة في أثناء التَّلفظ بها إلى مكان خارج مقام التَّخاطب، فالانتقال بالمتلقّي إلى زمــان الأحداث، و مكانها معًا من أهّم تقنيات المرســل التي يعتمدها في خطابه؛ ليستفيد منهما نفســيًّا في التّأثير بالمتلقّين، و لا نجد نصوصًا في كتاب الخطب والمواعظ مدعومة بالإشــاريَّات الزّمانيّــة و المكانيّة إلَّا و لها مقاصد تداوليّة أُنتجت في ســياقات يــراد منها الاتّعاظ، فنجد مرســلو الخطاب في كتاب الخطب والمواعظ يستندون على تعزيز الوعظ عند المتلقّين بالإشاريَّات الزّمانيَّة تارة، و تعزيزها بالإشاريَّات المكانيَّة، أو بكليهما تارة.

الكلمات المفتاحيّة: الإشــاريّات الزّمانيّة، الإشــاريَّات المكانيَّة، الإشاريّات الزّمكانيّة، الإشاريّات الزّمانيّة العامّة، الإشاريَّات المكانيَّة الخاصّة.

Temporal and Spatial Indicators in the Book of Speeches and Sermons by Abu Ubaid Al-Qasim bin Salam (d. 224 AH)

M.A Ghufran Kadhim Harija

DR. Ayed Jaddoe Hannoun

Abstract:

The Book of speeches and Sermons by Abu Ubaid Al - Qasim bin Salam is considered one of the most important heritage books that supports religious appeal and is based on advice, preaching, and urging deeds of righteousness. Because of the impact these speeches and sermons have on the Arab recipient, these speeches represent a special deliberative dimension within an interactive, communicative framework with the intended purpose. A single speech depends on the deliberative foundations of thought, which are: (the two sides of the speech, the intentionality, and the context). We find

that the book of speeches and sermons was full of multiple and varied thought foundations, the multiplicity of which was linked to the multiplicity of the two sides of the speech, and their different levels, and their diversity came about according to the different contexts in which they were said in terms of time, and Place. Time and place are two important linguistic signs of discourse formation. The temporal given is only determined in the context of communication and at the moment of its utterance. Spatial space is the reference for determining locations and places to which spatial signs refer during their utterance to a place outside of a place. Communication: transporting the recipient to the time and place of the events is one of the most important techniques that the sender adopts in his speech. To benefit from them psychologically in influencing the recipients, and we do not find texts in the Book of Speech and Sermons that are supported by temporal and spatial denotations unless they have deliberative purposes that were produced in contexts intended to preach, so we find the senders of the speech in the Book of speech and Sermons relying on enhancing preaching to the recipients by temporal denotations. Spatial, except that it has deliberative purposes that were produced in contexts in which it is intended to preach. We find the senders of speech in the book of speech and sermons relying on enhancing the preaching to the recipients with temporal cues at times, and enhancing it with spatial cues, or both at times.

Keywords: temporal cues, spatial cues, spatiotemporal cues, general temporal cues, special spatial cues.

مقدمة البحث:

قصدنا في هذا البحث أن نقف فيه على الإشاريَّات الزّمانيَّة، و الإشاريّات المكانيَّة معًا، وذلــك لتعاضدهما في تعزيز القصد، و التَّأثــير بالمتلقّين فضلًا عن أنّ الخطب

والمواعظ في كتاب ابن سـلّام اسـتعملت فيها الإشـاريَّات الزّمانيَّة، والمكانيَّة في الخطاب الواحد، وخصّصنا لهذه اللمسـة القصديَّة شأنًا في ميدان الدّراسة، فكانت هذه الفضاءات النّفسية دافع الخطيب، وغايته في تغيير سلوك المتلقّين.

أوّلًا: الإشاريَّات الزّمانيّة

هـي علامات لغويَّة لا يتعيَّن مرجعها إلَّا ضمن سـياق الخطاب التَّداوليّ؛ لأنّها لا تملك معنى في ذاتها مـع ارتباطها بمرجع؛ لأنّ مرجعها غير ثابت يتحوّل بتحوّل الزَّمن الواقعيّ في عالم غير لغويّ (دلخوش، 2015، ينظر: 444 – 445).

ومن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشاريَّة الزَّمانيَّة، على المرسل أن يحدِّد الإشارة الزَّمانيَّة، و على المتلقّي أن يدرك الإشـارة الزّمانيَّة في أثناء لحظة التَّلفظ بها، فيتخذها مرجعًا يحيل عليـه، و يؤول مكونات التَّلفظ انطلاقًا مـن معرفته اللغويَّة (نصيرة، 2017، ينظر:155)، و حدّد بنفينست الزَّمن الذّي يتعيَّن فيه المرجع الزَّماني بما يسمَّى بالزَّمن الحدث، و قـد أطلق عليه مصطلح (زمـن الحديث)، أمّا تودوروف فقد أطلق عليه مصـطلح (زمـن الخطـاب)، و هـو البحـث عـن تمثيليَّة الـزَّمن فـي ارتباطـه مـع لحظـة الحـديث (ذهيبة، 2012، ينظر: 115، 116)، و يتجلّـى زمـن الحـديث فـي الحاضـر الـذي يشـكّل مرجعيّته، أمّا الماضي، والمستقبل فمتعلّقان به، و يؤكّـد بنفينسـت أنَّ الأحـداث ليست هـي الـزَّمن، لكنّها متضـمّنة فيـه (ذهيبة، 2012، ينظر: 115، 116)، في حين ترى أركيـوني: «أنَّ الـزَّمن هـو حصـر حـدث مـا فـي محـور الأزمنـة بالنّسبة لوقت معتمد كمرجـع» (ذهيبة، 116:2012)، و هذا يعتمد على سـياق التَّخاطب، فالمتلقّي إن لم يحدّد له زمن التَّكلّم أو مركز الإشـارة الزَّمانيَّة التبس عليه الأمر، فزمان التَّكلم، و سياقه هما يحدّدان المقصود (نصيرة، 2017، ينظر:155).

و يعــرف الزّمن بأنّه ذو خاصّيّتين من حيث تعلّقه، و من حيث إدراكه؛ و يتعلّق مبــاشرة الزّمن بالمعطى الأوَّلي؛ إذ يرتبط كل زمن إشــاريّ بالمقام ارتباطًا مباشرًا؛ و يمثّل نقطة مســتقلّة الوجود تدرك بنفسها، و لا تحتاج في ذلك إلى غيرها، و هو يعبّر بذلــك عن علاقة زمانيَّة بالنّظر إلى الزّمن المعطى الأوَّليّ (براون ويول، د.ت، ينظر: 88)، و كلّما كانت الشَّقّة الزّمنية بعيدة بين الحدث المرويّ، و لحظة التَّفوّه بالكلام قبل احتمال تذكّر المرسل لتفاصيل حدوث الفعل، و توقيته ازداد حجم المدّة الزّمنية التي يحتمل أن يخصّصها لحدوثه (براون ويول، د.ت:62) فالإشــاريَّات الزّمانيَّة ما تشير إليه بحسب فهم المتلقّي بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان في الاعتماد على السّياق الماديّ المباشر الذي قيلت فيه (نحلة، 2002، ينظر:22).

و جــاء كتاب الخطــب والمواعظ حافلًا بالإشــاريَّات الزّمانيَّة، حتّى شــمِلت الظّــروف المختصّة التي ما كانت لها حدود معلومة تحصرهــا فتدلّ على زمان بعينه نحو (السَّاعة، ليلة، يوم...).

و وجّه مرســلو الخطاب في كتاب الخطب و المواعظ مقاصدهم عبر الإشاريَّات الزَّمانية فاتخذوا منها ركائز وعظيَّة في نفوس المتلقّين، حتّى أصبحت سراج الخطيب المتوهّج في مقام التّخاطب ســواء تضيَّقت دائرتها الزّمنيَّة أم توسّــعت في أثناء لحظة التَّلفظ.

1. إشاريّات الزّمان الضّيّق

نريد بها تلك المعطيات الزّمنيَّة النّفســيّة التي يحدَّدها مرســل الخطاب في سياق التَّلفــظ، و تكون معلومة عنــد المتلقّي خارج مقام التّخاطب، و تشــمل الظّروف الزّمانيّة نحو: الآن، و السَّــاعة، و ما شــابه ذلك، و تنماز مــن غيرها بضيق دائرتها الزّمانيَّة.

ومنهـــا قول وهب بن مُنبِّـــه: «**في حكمة آل داود حق عـــلى العاقل ألا يغفل عن أربع ساعات ساعة يتخلى فيها لربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفســـه وساعة يخلى بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فإن هذه الساعة عون له على هذه الساعات وإجمام للقلوب وحق على العاقل أن يعرف زمانه ويحفظ لســـانه ويقبل على شأنه وحق على العاقل ألا يظعن في إحدى ثلاث زاد لمعاده ومرمة لمعاشه ولذة في غير محرم..**». (ابن سلام، د.ت:141).

نجد الإشاريّات الزَّمانيّة التي عضَّدها مرسل الخطاب في النّص السّابق قد دلّت على قصديّة غايتها الوعظ، فالنّص عضّد بالإشـــاريّات الزمانيّة (السّاعة) المحدَّدة، و التي ضيَّق مرسلها دائرتها الزّمنية؛ لكنَّها أعطت قيمة وعظيَّة معنويَّة تجاوز حدود السَّاعة النَّفســـيّة، هذا ما كشف عنه السّياق، فالإشـــاريّات الزّمانيّة تحتفظ بمركز إشـــاري متعارف عليه، و لكنَّها يجـــب أن تفهم على ضوء مضمـــون القول الذي اســـتعملت فيه (براون ويول، د.ت، ينظر:64)، و نلاحظ أنّ مرسل الخطاب ذكر المعطى الزّمـــاني في أربعة مواضع، و في كلّ موضع في النّص حملت تلك الإشـــارة الزّمانيَّة مقصدًا خطابيًا وعظيًّا إرشـــاديًّا أرد به مرســـل الخطـــاب أن يلتفت متلقّيه إلى نفســـه فقوله: «**ســـاعة يتخلّى فيها لربّه**» لا المراد منها ذلك الوقت المحدّد، و إنّما هو عبادة االله في خلوته بالسَّـــاعة التي يكون فيها العبد بـــين يديّ الله عزَّ وجلّ، و هذا ما يسمّى بـــالاحتواء للحدث الزّماني بحســـب قول تمّام حسَّان (تمام، 2008، ينظر:250)، لكنّه يؤدي معنى آخر، و أمَّا قوله: «**ســـاعة يحاســـب فيها نفســـه**» لا المراد بالإشـــارة الزّمانيَّة هنا الوقت المعلوم؛ وإنّما انتباه الإنسان لنفسه، و محاسبتها دفعًـــا للتقصير، و قوله: «**ســـاعة يقضي فيها إلى إخوانه**» فيهـــا مقصد ليس زمانيًّا، فحســـب؛ بل قصد بها صلة الرّحم، وقوله: «**و ساعة يخلى بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل، ويجمل فإنّ هذه السّـــاعة عون له على هذه السّـــاعات وإجمام للقلوب**» فالمراد

بها إعطاء الإنســـان لنفســـه حق الحلال، والجمال بكل ما أباحه الله تعالى، فنلاحظ قيمة توظيف الإشـــارة الزَّمانية (السّاعة) في الخطاب شـــكّلت أبعادًا تداوليّة فيها مقاصد كانت نفسيَّة كلّها في خطاب النّصح والوعظ، و ما يجذب الانتباه إنَّ السَّاعة المعهـــودة في الذّهن هي ذلك الوقت الزّماني المحدّد، ألا أنَّ مرســـل الخطاب قصد بها في ســـياقات مختلفة أغراضًا خطابيَّة، فلو أعدنا النَّظر في النَّص السّابق؛ لوجدنا السَّاعة في الموضع الأول قصد بها أعط الله حقّه، وفي الموضع الثَّاني قصد بها حاسب نفســـك إن قصّرت، وفي الموضع الثَّالث صل أرحامـــك بأكمل وجه، وفي الموضع الرَّابع قصد بها جمّل نفسك، وزيّنها بما يرضي الله عز وجل، و هذا ما تلمّسه جورج يول في الإشـــاريّات الزّمانيّة عندما قال: «يمكننا معاملة الأحداث الزَّمانيَّة كأشياء قادمة إلينا إلى مجال رؤيتنا، أو مبتعدة عنَّا خارج مجال الرؤية» (جورج، 2010: 35)، وهذا يتمثّل بتوظيف المرسل لها في نفس متلقّيه.

2. إشاريَّات الزَّمان الواسع

و نقصد بها المعطيات الزّمانيّة التي تتّسع دائرتها الزّمنيَّة، فتتجاوز حدود اللحظة، و السّـــاعة في ســـياق التَّلفظ، إلى اســـتجلاء الليل، و النَّهار كله، فأكثر حتّى تصل حدودها النَّفسيّة الدّهر كله.

ومنها كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح وإلى معاذ ردًّا على صحيفة كتباها، من هذه الرّدود قال عمر:

«جاءني كتابكما تذكران أنكما عهدتماني وشأن نفسي إلي مهم...، وكتبتما تحذراني ما حذرت الأمـــم قبل ليوم تعنو فيه الوجوه وتجب فيه القلوب وتقطع فيه الحجج لعزة ملك قهرتهم جبروته والخلق له داخرون ينتظرون قضاءه ويخافون عقوبته وقديما كان اختلاف الليـــل والنهار بآجال الناس يبليان كل جديـــد ويقربان كل بعيد ثم يصير

الناس إلى الجنة وإلى النار» (ابن سلام، د.ت، 112 - 113.).

جاء النّص الوارد الذّكر آنفًا مفعمًا بالإشـــاريّات الزّمانيّة التي تجاوزت حدودها السّـــاعة إلى الليل و النّهار حتّى شـــمل اليوم كله، و أكثر من ذلك، نحو: (الليل و النّهار، و اليوم، و قبلُ)، و ما نريد بيانه هو مقصديّة مرســـل الخطاب من اســـتعمال الإشاريَّات الزّمانيّة في سياق القول هذا.

فجاءت ردود المرســـل على هيأة إجابات يراد بها الاتّعـــاظ، و هذا الاتّعاظ جاء ممزوجًا بالإشـــاريّات الزّمانيّة منها، قال عمر: «**وكتبتما تحذراني ما حذرت الأمم قبل ليوم تعنو فيه الوجوه وتجب فيه القلوب وتقطع فيه الحجج لعزة ملك قهرتهم جبروته والخلق له داخرون ينتظرون قضاءه ويخافون عقوبته** «فنلحظ أنّ المرســـل لم يرد من الإشارة الزّمانية (قبلُ) المدة الزّمنية الطويلة، و إنّما قصد بها حال الأمم السّابقة كيف أنّهـــا حذّرت (ليوم) يخضع النّاس فيه لله، وتجب القلوب فيه مخافة من الله، و ترتجف في يوم تقطع فيه الحجج لعزّة ملـــك قهرتهم جبروته، و الخلق حالهم أذلّاء ينتظرون قضاء الله، و رحمته مخافة من عقوبته، وهذا (اليوم) ليس هو وقت الليل والنّهار وإنّما اليوم الذّي تشخص فيه الأبصار الذي يقف فيه العبد أمام رحمة ربّه وهو يوم القيامة فالإشـــارة الزّمانيّة تقمّصت التّحذير لا من حدوث يوم السّـــاعة؛ وإنّما التّحذير أن يأتي على النّاس آجالهم وهم في غفلة من أمرهم، ويجزون على أعمالهم في يوم السّاعة، وعندها يحين قضاء الله تعالى، فشكّلت هنا الإشارة الزّمانيّة قصدًا مستقبليًّا».

وأمّا قولـــه: «**وقديما كان اختلاف الليل والنهار بآجـــال الناس يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ثم يصير الناس إلى الجنة وإلى النار**» يلاحظ أنّ المرسل ذكر الإشاريَّتين الزّمانيَّتين المتصاحبتين (الليل و النهار) و قصد استعمالهما بالضّدين للدلالة على تبدّل الأحوال بأنّ النّاس قديمًا كانوا يتّعظـــون باختلافهما، و هذا التّعاقب من الظّلمة إلى

النّــور يعجّل بانقضاء آجال النّاس، وقصد بـ«**يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ثم يصير الناس إلى الجنة وإلى النار**» بأنّ الدّنيا حالها الفناء، والإنسان طارئ عليها، فهذا التّبدّل الزّماني ما هو إلّا وسـيلة للتهالك، والتّقدم بالعمر، وتقريب انقضاء الأجل، ويكون مصيرهم أمّا للجنّة أو للنّار، و تتجلّى وظيفة الإشارة الزمانيّة في باب الوعظ، فبدلالة العرف الليل مرتبط بالظّلام، و النّهار مرتبط بالوضوح فتعاقبهما يشـكلّان اختلافًا شكليّا تتغير معهما الأحوال.

ثانيًا: الإشاريَّات المكانيّة

تشير الإشاريّات المكانيّة إلى «عناصـر إشـاريَّة تـدلّ علـى أمـاكن يعتمـد اسـتعمالها و تفسـيرها علـى معرفـة مكـان المـتكلّم، و وقـت الـتَّكلّم، أو علـى مكـان آخـر معـروف للسـامع، أو المخاطـب و يكـون لتحديد المكان أثر في اختيار العناصر التي تشـير إليه قربًا، أو بعدًا أو جهة» (نحلـة، 22:2002)، أو هي لواحق خطابيَّة تشـير إلى مكان ينبغي أن تشمله دلالة المرسـل، و يدركه المتلقّي؛ لإنجاح عمليَّة التَّواصل (بلقاسـم، 2015، ينظر:20)، و تعدّ الإشـارة المكانيَّة بعدًا مهمًّا في الخطاب في تحديد البعد المكاني، و هذا البعد يُسـتنبط من الطَّبيعة النَّمطيَّة للخطاب حسـب ارتباطاته الخارجيَّة بعلاقات مقاميَّة تنبِّئ بالإطار المكاني الذّي يتجسّـد فيه الخطاب، وبه يكون التَّأشـير المكاني محمولًا في كلّ خطاب (دلخوش، 2018، ينظر: 453).

و لا تخلـو الخطب والمواعظ في كتاب ابن سـلّام من الإشـاريَّات المكانيّة التي قصدها الخطيب الواعظ؛ لتؤثّر في متلقيه بغية استمالته، فينفّذ توجيهه، فالإشاريَّات المكانيَّة هي مقاصد تداوليَّة نفسـيَّة بيّنتها المقامات الخطابيّة في كتاب ابن سلّام سواء أكانت إشاريّات مكانيّة خاصّة أم إشاريّات مكانيّة عامّة.

أوّلًا: الإشاريَّات المكانيَّة الخاصّة

و نريد بها الإشـــاريَّات المكانيَّة التي أشير إليها في مقامات خاصّة، و أشارت إلى أماكن خاصّة نحو الأماكن المقدّسة، أو ما تسمّى بالعتبات المقدّسة التي لها دور كبير في تغيير سلوك المتلقّين.

ومنها ما جاء في مواعظ النّبي عيســى بن مريم (عليهما السَّــلام) إلى الحواريين، قال:

«**إني أقــول الحق ما لكم في العــالم من بيت إن أنتم في الدنيا إلا عابرو ســبيل ألا فاتخذوا مســاجد الله بيوتا واتخذوا بيوتكم كمنازل الأضياف**» (ابن ســلام، د.ت: 157).

و يعدّ هذا الخطاب من الخطابــات الخاصّة التي وجّهت إلى فئة معيّنة من دون سائر النّاس و هم الحواريون، فجاءت الإشاريَّات في النّص كلّها تدعوا إلى مساجد الله أي الدّعوة إلى مكان خاصّ، أو ما يسمّى بالأماكن الرّحمانيَّة، فنلاحظ أنّ النّبي عيسى (عليه السّلام) بدأ خطابه الوعظيّ بإشاريتين شخصيّتين يعودان إليه بقوله: «**إنّي أقول الحق**» الأول: (الياء) مع الحرف المشــبّه بالفعل الــذّي يفيد التّوكيد، و الثَّاني: الضَّمير المستتر (أنا) مع الفعل (أقول) قاصد نفسه لإيصال مقصديَّة خطابه إلى متلقّي الخطاب وهم (الحواريون) الذين يشتركون معه بالخلفيَّات المسبقة، بأنّ النّبي عيســى (عليه السَّلام) نبيّ هذه الأمَّة، فيشــكّل أعلى رتبة اجتماعيَّة عندهم وعلامــة صدق، وحجَّة عليهم، لا مجال للتشــكيك فيه بدلالــة ما جاء في القرآن الكريــم قال تعالى: ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:52)، وذكر الإشارة إلى نفسه من باب التَّأكيد، و اطمئنان نفس المتلقّي بأنّ ما سيقوله يجب تصديقه، والأخذ به، ويعد هذا الخطاب

من الخطابات التّوجيهيَّة التي يحتاج فيها موجّهها أن يصل بمتلقّيه إلى غاية التّنفيذ، فقصد فيها مرسل الخطاب (عيسى) حسن الاستماع إليه، ثمّ اطمئنان النّفوس، فتوجيههم إذ خصّهم بجملة من الإشاريَّات المكانيَّة بدء من الكل إلى الجزء في قوله: «**ما لكم في العالم من بيت**» بأنّ العالم فانيّ، وقوله: «**أنتم في هذه الدنيا إلا عابرو سبيل**» نلاحظ أنّه بدأ توجيه المتلقّي نحو مكان واحد وهو (مساجد الله) لكنّه قصد إلى نفي الكلّ بالجزء، وهذا المكان الخاصّ هو مكان نفسيّ؛ لأنّ الأساس التّداولي في الإشاريَّات المكانيَّة هي المسافة السّيكولوجيَّة (إستجب، 2015، ينظر:13)، فبدأ بالإشارة إليهم إلى انتفاء بقائهم على قيد الحياة، فخصّهم بالإشارة التي نفت ملكيَّتهم، التي أعطت قيمة وصف حالهم بوصفهم عابريّ سبيل، و بعد ما وصل المرسل بمتلقّيه إلى مرحلة الإقناع بدأ بتوجيههم بقوله: «**اتخذوا مساجد الله بيوتًا... واتخذوا بيوتكم كمنازل الأضياف**» وذلك لاشتراكهم بعمليَّة التّوجيه كلَّهم، وعليهم التَّنفيذ.

ومن الإشاريّات المكانيَّة التي قيلت في خطاب خاصّ، كخطاب حوار لقمان الحكيم مع ابنه الذي يعدّ من الخطابات الاجتماعيّة العائليَّة؛ و ذلك لقرب المسافة الاجتماعيّة بين المتخاطبين، عن ابن أبي حسين قال:

«**بلغني أن لقمان الحكيم كان يقول يا بني لا تعلم العلم لتباهي به العلماء وتماري به السفهاء وترائي به في المجالس ولا تدع العلم زهدا فيه ورغبة في الجهالة يا بني اختر المجالس على عينيك فإذا رأيت قوما يذكرون الله فاجلس معهم فإن تك عالما ينفعك علمك وإن تك جاهلا يعلموك وإذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس معهم فإن تك عالما لا ينفعك علمك وإن تك جاهلا يزيدوك غيا ولعل الله أن يطلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم**» (ابن سلام، د.ت:177).

إنّ مقصديَّة خطاب لقمان مع ابنه مبنـــي على النّصح، و الوعظ، و نلحظ فيه أنّ مرســـل الخطاب ذكر الإشـــاريَّات المكانيَّة الخاصّة (المجالس) في موضعين الأوّل: بقوله: «**لا تعلم العلم.... وترائي به في المجالس**»، وقوله: «**يا بني اختر المجالس على عينيك**» فالمجلس هو المكان الذي يضمّ النَّاس عامّتهم، وخاصّتهم فكان تركيز لقمان على المجالس كون المجالس تكتسب ذائعتها من الجالسين فيها فالجالسون هم محتوى المجالس، و خاصّتها، فالمرســـل أرد نهي متلقّيه من الجلوس مع السّفيه، و الجاهل، لكنّه نفي الكلّ، و أرد الجزء، فبدأ بترك التّماري في المجالس، ثمّ عاد، و أكّد حســـن اختيار المجالس، و هي معلومة عنـــد المتلقّي خارج مقام التّخاطب، لأنَّ «لا يمكن فهم العلاقات الدّلاليَّة للعلامات التَّأشـــيريَّة إلَّا إذا حددها المتكلّم الذي يســـتعمل هذه العلامات أو التَّأشيرات بنفســـه تحديدًا بالقواعد الدلالية» (بركلي، د.ت:43)، وبعد ذكر المرسل على المجالس تحولّ التَّركيز على محتوى المجالس بقوله: «**وإذا رأيت قومًا يذكرون الله فاجلس معهـــم**» وقوله: «**إذا رأيت قومًا لا يذكرون الله فلا تجلس معهم**» وهذه هي غاية لقمان من مجالسة النَّاس الأخيار.

ثانيًا: الإشاريَّات المكانيَّة العامَّة

و نقصد بها الإشاريَّات المكانيّة التي لا تشير إلى مكان خاصّ محدّد مثل العتبات المقدّسة، وإنّما يغلب على حدودها طابع السّعة و الشّمول مثل الدّنيا والآخرة.

من ذلك قول عيســـى بن مريم (عليهما السّلام) للحواريين: «**بحق أقول لكم ما الدنيـــا تريدون ولا الآخرة قالوا فبين لنا يا نبي الله فقد كنا نرى أنا نريد إحداهما فقال لو أطعتم رب الدنيا الذي بيده مفاتيح خزائنها لأعطاكموها ولو أطعتم رب الآخرة لأعطاكموها ولكن لا هذه تريدون ولا تلك**» (القاسم بن سلام، د.ت: 159).

إنّ ما يميّز خطاب النّبي عيسى (عليه السّلام) هذا عن خطاباته السّابقة، إنّه (عليه

السّلام) في الخطابات السّـــابقة كان المتلقّين على منزلة من الإيمان، فكانت خطابات المرســـل توجيه، و وعظ فحثّ المتلقّين إلى الأماكن الرّحمانّية، و ترك الهوى، في حين أنّ مقـــام المتلقّين في هذا الخطاب اختلف، و اختلفت معه الظّروف المشـــتركة أيضًا ويعد خطاب النّبي عيســـى (عليه السّلام) من الخطابات التي تثير أحداثًا سابقة عن أوانها، أو يمكن حدوثها، فأحداثها متغيّرة مع تغيير أفكار المتلقّين، فلم نجد المرسل مهّد خطابه بعبارات الاســـتمالة، أو التّقرب من متلقّيه، بل بدأ خطابه بقصد واضح بقوله: «**بحق أقول لكم ما الدنيا تريدون ولا الآخرة**» فأشـــار المرسل إلى الفضاءين المكانيين الدّنيا، والآخرة، و هما دارا مكان أحدهما يمثل مدّة انقضاء حياة الإنســـان فيها، و الآخر يمثل حياة الإنسان بعد الممات، قصدهما المرسل بخطابه الوعظيّ حتّى يبرهن للمتلقّين تهاونهم في طاعة الله عزّ وجـــلّ، فهو لم يريد أن يوجههم إلى مكان، بل يرد بيان خســـارتهم المكانين معًا، فاستعمل المرسل الفضائين في خطابه استعمالًا قصديًّا نفســـيًا؛ لأنّ من آليّات المرســـل الخطابيّة أن يميل إلى معاملة الأماكن معاملة نفسيّة، نحو ما فعل نبيّ الله عيســـى (عليه السّلام)، إذ قرّب دار الآخرة بالخسران، وهي بعيدة ماديًّا، أو يميل المرســـل إلى معاملة البعيد ماديّا على أنّه بعيد نفسيّ نحو ما ذهب إليه جورج يول إذ قال: «يميل المتكلّم إلى معاملة الأشياء البعيدة ماديًّا على أنَّها بعيدة نفســـيًّا مثلًا ذلك الرَّجل هناك مع ذلك قد يرغب المتكلّم في جعل شيء قريب ماديًّا مثلًا عطر استنشقه بقوله لا أحبّ ذلك عطر» (يول، 33:2010).

ثالثًا: الإشاريّات الزّمكانيّة

وهي الإشاريّات التي جمعت في الخطاب الواحد عنصري الزّمان، و المكان، فلا يكاد ينفـــكّ أحدهما عن الآخر، ويؤدّي العنصران دورًا إســـناديّا في تأديّة المعنى، و إقراره في نفس المتلقّي لتحقيق عمليَّة التّواصل، و إيصال مقصديّة الخطاب.

ذهـــب ابن السّراج (ت316هـــ) إلى أنّ العرب تتّســـع في الظّروف لضرب من

التّقريب و التّشـــبيه قال: «و أعلم أنَّ الظُّروف أصلها الأزمنة، والأمكنة ثم تتســع العرب فيها للتقريب والتَّشبيه» (ابن السّراج، د.ت، 199).

من ذلك ما جاء في خطبة لأبي بكر للناس، قال:

«ثم تفكروا عباد الله فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم وأين الجبارون الذين كان لهم ذكــر القتال وأين الذين كانوا يعطــون الغلبة في مواطن الحروب قد ضعضــع بهم الدهر وصــاروا رميما وأين الملــوك الذين أثــاروا الأرض وعمروها قد نســوا ونسي ذكرهم فهم اليوم كلا شيء وأين الملوك الذيــن بنوا المدائن العظام وحصنوها وجعلوا فيها الأعاجيب فتلك بيوتهم خاوية وهم في ظلمات القبور،..». (ابن سلام، د.ت:189).

يعــد خطاب أبي بكــر من الخطابات التي تعتمد على اســترجاع، أو اســتذكار منظومة من الوقائع التي حدثت قبل لحظة الخطاب (الســاعدي2013، ينظر:215)، فالإشاريّات الزّمانية، مع المكانيّة أدّت دورًا اسناديًا بضرب من التّشبيه، يريد مرسلها أن يوصل رسالة لمتلقّيه و التَّأثير فيه، أو يستدرج متلقّيه حتّى يؤثّر فيه، فتصوير حال الدُّنيا في نصّ أبي بكر بني تحت مســلّمة الإشــاريَّات الزّمانيَّة الضديّة أوحت قصدًا مؤثرًا في نفوس المتلقّين، فهي تقنية يدعم المرســل خطابه بها إذ نجد الخطاب حافلًا بهذه المتضادّات، و منها اســتعمال الإشــارة الزَّمانيَّة بضدّها بقوله: «**ثم تفكروا عباد الله فيمــن كان قبلكم أين كانــوا أمس وأين هم اليوم**» فليس المــراد بأمس و اليوم الوقت الزّمانيّ، فالإشــارة باليوم، و أمس إشــاريّات زمانيَّة غير علائقيَّة، و سمتها أنّها تشــير إلى مدّة زمنية واســعة غير محدّدة (ميعاد، 2020، ينظر:332)، فيدلّان على تبدّل الأحوال و تغيّرها، بين الحياة، و الموت، فضلًا عمّا أضافته الإشــاريَّات المكانية من دافع حجاجيّ إذ نرى مرسل الخطاب تدرّج بمتلقّيه من مواطن الحروب إلى بناء

المدائن، فظلمات القبور فالتّدرّج بالفضاءات هو تدرّج نفسيّ وصولًا إلى عتبة القبور للدلالة على الفناء، و هذه الإشـــاريّات الزّمكانيَّة هي تشـــبيهات مجازيَّة اســـتعملها المرسل بقصد الوعظ لتغيير سلوك المتلقّين.

ومنـــه أيضًا ما جـــاء في خطاب أبي بكر لما حضر الموت أرســـل إلى عمر فقال له: «**يا عمر إن وليـــت على الناس فاتق الله واعلم أن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وأن لله عمـــلا بالنهار لا يقبله بالليل وأنه لا يقبل نافلة حتـــى تؤدى الفريضة وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينـــه يوم القيامة باتباعهم الحـــق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان إذا وضع فيه الحق غـــدا بأن يكون ثقيلا وإنما خفت موازين من خفت موازينه يـــوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان إذا وضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا**» (ابن سلام، د,ت:199).

حفل الخطاب بإشـــاريّات زمكانيّة وهي (الليل، والنّهار، ويوم القيامة، والدّنيا، وغـــدًا) فثنائيّة الزّمان (الليـــل والنهار) أعطت مقاصد وعظيَّـــة توجيهيّة، عني بها مرســـل الخطاب حتى تغلغل القصد عند متلقّيه، قـــال: «**واعلم أن لله عملا بالليل لا يقبلـــه بالنّهار، وأن لله عملًا بالنَّهار لا يقبلـــه بالليل وأنه لا يقبل نافلة حتّى تؤدى الفريضـــة**» فالليل، و النّهار أرد بهما أبو بكر الوقت، و زيادة عليه في القصد أي وقت الأعـــمال، فلليل أعماله الخاصّـــة، و للنهار أعماله الخاصَّة، فـــلا يمكن إنجاز أعمال الليـــل بالنهار، و إنجاز أعمال النّهار بالليل؛ لخصوصيّتها، فتلك ســـنّة الله لا تبديل فيها فاســـتعمال المرســـل ثنائيّة الزّمان (الليل و النّهار) بقصد بيان أحقيّة الأعمال في وقتها، فمرســـل الخطاب عمد إلى تقديمها على بقيّة الأعمال؛ لأنّها عائدة إلى الله عزّ و جلّ، فالزّمان يتأســـسّ ابتداء من اللحظة التي يتحدَّث فيها المتكلّم إلى شـــخصّ معيَّن كما يتأســـسّ المكان في تلك النّقطة من الفضاء التـــي يتواجد في أثناء الحديث (لحظـــة التّلفظ) (ذهيبـــة، 2012، ينظر:124)، غير أنّ هذا التَّتابـــع الزّمانيّ بالظّرف

الزّمان (غدًا) الذّي أشـــار إليه المرسل في موضعين بقوله: «**وحق لميزان إذا وضع فيه الحق غدا بأن يكون ثقيلا وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان إذا وضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا**» لم يقصد المرسل به وقت الزّمان المحدّد بالوقت القريب؛ بل الوقت حين تقوم القيامة فظرف الزّمان أعطى معنى بعيدًا، حدّده مقام التّخاطب، لأنّ الزّمن الإشاريّ يمثّل نقطة مستقلّة الوجود، ولا يتعلّق إدراكها، أو تصورها بنقطة زمانيّة أخرى غير زمن المقام. (الزناد، 1993، ينظر:75)

فالزّمان مرهون بالفضاء المكاني الذي أشار إليه المرسل بـ(الدّنيا)، و هذا ما نطلق عليه بالتَّعاقب الزَّمكانيّ و هو تتابع الفضاءات الزّمانيَّة و المكانيَّة في ســياق الخطاب يجمعها مقام مشــترك، و يشكّلان حلقة من العلامات التي تشير إلى محدّدات أغلبها سيكولوجيَّة خارج مقام التَّخاطب يكون الهدف منها تغيير سلوك المتلقّين.

خاتمة البحث و النّتائج:

بعــد التّحليل التّداولي لخطب و مواعظ كتاب ابن ســلّام، اتّضح لنا أنّ الخطباء التجأوا إلى إسناد خطبهم بالإشاريّات الزّمانيَّة و المكانيَّة، فاتخذوا منها ركائز وعظيَّة في تفوس المتلقيّن، فوظّفت الإشاريّات الزّمانيَّة و المكانيّة بصورة مختلفة، و بسياقات مختلفــة كانت حلقة وصــل بين الماضي، والحاضر، والمســتقبل فضــلًا عن دورها التّعزيزي في تغيير سلوك المتلقّين، و يمكن لنتائج هذه الدّراسة أن تتلخّص في التّالي:

1. إنّ كتــاب الخطب و المواعــظ كان مدعومًا بالإشــاريَّات الزّمانيَّة و المكانيَّة، أنتجت في سياقات غايتها النّصح و الوعظ.
2. اســتند مرسلو الخطب و المواعظ على الإشاريَّات الزّمانيَّة و المكانيَّة بغية تغيير سلوك المتلقّين.

3. استعمل مرسلو الخطب والمواعظ الإشاريّات المكانيّة استعمالًا نفسيًّا و لا سيما في معاملة الأماكن المقدّسة وذلك لقدسيتها أوّلًا، و لتأثيرها على المتلقّين ثانيًا.

4. ربط مرسلو كتاب الخطب و المواعظ عنصريّ الزّمان بالمكان في الخطاب الواحد وتأثّر أحدهما بالآخر وذلك لإيصال مقصديّة الخطاب إلى المتلقّين فضلًا عن التّأثير فيهم، و تغيير سلوكهم.

5. حقّقت الإشاريّات الزّمانيَّة في الخطب و المواعظ مقاصد مستقبليَّة قضويَّة.

ثبت المصادر و المراجع:

القرآن الكريم.

- ابن السراج، أبو بكر محمد بن السّري (ت316) المعروف بابن السراج، الأصول في النّحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرّسالة، لبنان بيروت، د.ط، د.ت.
- ابن سلام، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ)، الخطب و المواعظ، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، د.ت
- استجب، الإشاريَّات في سورة يوسف دراسة تحليليَّة تداوليَّة، بحث دكتوراه، كلية الآداب و العلوم الثقافية، جامعة سونان كاليجاكا الإسلامية الحكومية، 2015.
- بـــراون ويول، ترجمة محمد لطفي الزليطي – منـــير التريكي، تحليل الخطاب، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، د.ط، د.ت.
- بركلي، هربيرت بركلي، مقدمة إلى علم الدلالة الألســـني، ترجمة قاســـم المقداد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق د.ط، د.ت.
- بلقاســـم، دفّة بلقاســـم، التَّركيب اللغوي من منظور اللسانيَّات التَّداوليَّة ديوان كأني أرى للشاعر عبد القادر الحصني أنموذجًا، جامعة محمّد خضير بسكرة، العدد (5)، 2015م.
- حسّان، تمّام حسّان، اللغة العربيَّة معناها ومبناها،، عالم الكتب، د.ط، 2008.
- دلخوش، جار الله حســـين دزه يي دلخوش، التَّأشير والتّباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية، مجلة جامعة زاخو المجلد3 (ب) العدد (2)، قســـم اللغة العربية – كلية اللغات، جامعة صلاح الدين، 2015.
- ذهيبة، حمو الحاج ذهيبة، لسانيَّات التّلفظ وتداوليَّة الخطاب، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، ط2، تيزي وزو 2012.
- الزنـــاد، الأزهر الزناد، نســـيج النص (بحث في ما به يكون الملفـــوظ نصًا)، المركز الثقافي العربي، بيروت الحمراء ط1، 1993.
- الساعدي، محمد مهدي حسين الســـاعدي، مستويات التّلقي في شروح نهج البلاغة حتى نهاية القرن السابع الهجري رسالة ماجستير، قســـم اللغة العربية، كلية الآداب – جامعة الكوفة، 2013.
- الظاهـــري، ميعاد محمد عـــوض الظاهري، الثّنائيات الإشـــاريَّة في تحليل الخطاب مقاربة

لسانيَّة تداوليّة، جامعة جدّة مجلد 4 العدد 12، 2020م

- نحلة، محمود أحمـــد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعـــاصر، دار المرفة الجامعية، د.ط، 2002.

- نصـــيرة، بن شريط نصيرة، التفكير التداولي في كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي، اطروحة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف بالمســـيلة، كلية الآداب و اللغات، قســـم اللغة والأدب العربي، 2017.

- يول، جورج يول، التداولية، ترجمة قصي العتابي، دار الأمان، ط1، 2010.